خطبة صلاة الجمعة 7/ 5/ 2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الصدقة برهان –4–)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 103 – 105].

أخرج الإمام أحمد عن سمرة بن جندب، وعمران بن حصين رضي الله عنهما قالا: ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة إلا أمرنا بالصدقة.

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الرابعة الأخيرة في سلسلة خطب رمضان الموسومة بـ (**الصدقة برهان**)، وهذا العنوان مأخوذ من حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

أخرج الإمام مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«الطُّهور شَطْرُ الإيمان، والحمدُ لله تملأُ الميزان، وسبحانَ الله والحمد لله تملآن – أو تملأ – ما بين السموات والأرض، والصلاةُ نور، والصدقةُ بُرْهَان، والصبرُ ضِياء، والقرآنُ حُجَّة لكَ أو عليكَ، كلُّ الناس يغدو، فبائع نَفْسَهُ فمعتقُها، أو مُوبِقها»** [أخرجه مسلم].

الصدقة: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة، وأما قوله الصدقة برهان فقد قال ابن رجب: (البرهان: هو الشعاع الذي يلي وجه الشمس، ومنه سميت الحجة القاطعة برهاناً، لوضوح دَلالاتها على ما دلت عليه، فكذلك الصدقة برهان على صحة الإيمان... وطيبُ النفس بها علامة على وجود حلاوة الإيمان وطعمه، وسبب هذا أن المال تحبه النفوس وتبخل به، فإذا سمحت بإخراجه لله عز وجل دل ذلك على صحة إيمانها بالله ووعده ووعيده).

قال الإمام النووي: (هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام قد اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام... ثم قال: والصدقة برهان معناه يُفْزَعُ إليها كما يفزع إلى البراهين كأن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين في جواب هذا السؤال فيقول تصدقت بكذا وكذا... قال ويجوز أن يوسم المتصدق بسيماء يعرف بها فيكون برهانا له على حاله ولا يسأل عن مصرف ماله).

ذهبت -أيها الإخوة- أجمعُ مادة الصدقات فوجدت حديث النبي صلى الله عليه وسلم عامراً بالحض على الصدقة وبفضل الصدقة وبآداب الصدقة وبأنواع الصدقة وبأحكام الصدقة وبغير ذلك، فلم أجد خيراً من أقرأ عليكم في كل خطبة من هذه الخطب طائفة من هذه الأحاديث مع شيء من التعليق على بعضها.

جاء في كتاب جامع الأصول الذي جمع فيه مؤلفه ابن الأثير الجزري الكتب الستة البخاري ومسلم وأبا داوود والترمذي والنسائي والموطأ.

قال ابن الأثير: الكتاب الخامس: في الصدقة، وفيه فصلان:

الفصل الثاني: في أحكام الصدقة، وتكلم فيه عن السخاء في الصدقة وعن الصدقة عن الميت.

أما السخاء في الصدقة فقد أخرج أبو داود عن عائشة رضي الله عنها: **«أنها ذَكَرَتْ عدة من مساكين فقال لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَعطي، ولا تُحصي، فيحصي اللهُ عليكِ»**. الْإِحْصَاءَ هُوَ الْعَدُّ وَالْحِفْظُ، والمعنى لا تعدي ما أنفقتيه فتستكثريه فتقطعي إنفاقك فيقطع الله عنك الرزق.

في رواية النسائي عن عائشة قالت: **«دخل عليَّ سائل مَرَّة، وعندي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فأمرتُ له بشيء، ثم دعوتُ به، فنظرتُ إليه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أما تريدين ألا يدخلَ بيتَكِ شيء، ولا يخرجَ إلا بعلمك؟ قلت: نعم، قال: مهلاً يا عائشةُ، لا تُحْصِي، فيحصي الله عز وجل عليكِ»**.

وأخرج الشيخان عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: قالت: قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**أنفقي – أو انْضَحِي، أو انْفَحِي – ولا تُحصي، فيُحصي اللهُ عليكِ**». وفي رواية: «**أنفقي، ولا تحصي، فيحصي الله عليك، ولا تُوعِي فيوعِي اللهُ عليكِ**».

وفي أخرى «**انْفَحِي – أو انضحي، أو أنفقي – ولا تُحْصي، فيُحصِي الله عليك، ولا توعِي فيُوعِي الله عليك**».

وفي أخرى قالت: قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تُوكي فيوكي اللهُ عليكِ**».

وفي أخرى: «**لا تُحصي فيحصي اللهُ عليكِ**».

وقوله (انْضَحِي – انفحي) النضح والنفح: كناية عن السماحة في العطاء، وكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن نكثر الصدقة ونديمَها، فمن أنفق أنفق الله عليه ومن وسع على عبد وسع الله عليه ومن يسر يسر الله عليه ومن نفس نفس الله عنه ومن أعطى عبداً مما عنده أعطاه الله مما عنده، والوصف الذي تعامل به الخلق يعاملك به الحق، هذا عن السخاء في الصدقة.

وأما الصدقة عن الميت فقد أخرج البخاري وغيره عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: «**إن أُمي تُوُفِّيت، أينفعُها إن تصدَّقْتُ عنها؟ قال: نعم، قال: فإن لي مَخْرَفاً – أي نخلا – فأنا أشهدك أني قد تصدَّقْتُ به عنها**».

وفي رواية النسائي: «**أن سَعْداً سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم: إن أُمِّي ماتَتْ ولم تُوصِ، أَفأَتصدَّقُ عنها؟ قال: نعم**».

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن أُمِّي افْتُلِتَت نفسُها – أي: مات فجأة –، وأظنُّها لو تَكَلَّمتْ تَصدَّقَتْ، فهل لها أجْر إن تصدَّقْتُ عنها؟ قال: نعم**».

وأخرج أبو داود والنسائي عن سعد بن عبادة رضي الله عنه: قال: «**قلتُ: يا رسولَ الله، إن أُمي ماتت، فأيُّ الصدقةِ أفضلُ؟ قال: الماءُ، فحفر بئراً وقال: هذه لأمِّ سَعْد**».

وفي رواية الموطأ: «**خرج سعدُ بنُ عُبادةَ مع النبيّ صلى الله عليه وسلم في بعض مَغازيه، وَحَضَرَتْ أُمَّه الوفاةُ بالمدينة، فقيل لها: أوصي، فقالتْ: فِيمَ أوصي؟ المالُ مالُ سَعْد، فتُوفِّيتْ قَبْلَ أن يَقْدَم سَعْد، فلما قَدِمَ سَعْد ذُكِرَ ذلك له، فقال: يا رسولَ الله، هل ينفعُها أن أتصدَّق عنها؟ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: نعم، فقال سَعْد: حائط كذا وكذا صدقة عنها – لحائط سماه**».

ونقل الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله عن الفقهاء في موسوعته الفقه الإسلامي وأدلته، قال:

(الصدقة على الميت تنفع الميت. صدقةٌ عليه من أكل أو شرب أو كسوة أو درهم أو دينار، وينفعه أيضاً دعاء له بالإجماع).

وقد سمعنا ورأينا أيها الإخوة الكثير من الحوادث في وصول الصدقة للميت وأنها تنفعه بإذن الله، وقد استدل الفقهاء على هذا بالأحاديث السابقة وغيرها وانعقد إجماعهم على ذلك.

وفي مسجدكم هذا قبل سنوات أردنا رفع المظلات القماشية الخارجية لتقي مصلي الجمعة من حرارة الشمس إن اضطروا للصلاة في الممرات الخارجية للمسجد، ولما بدأنا العمل جاء أحد الإخوة الحاضرين معنا الآن ليقول إن أباه قد توفاه الله وهو يبحث له عن صدقة جارية ويتمنى أن يتحمل هو نفقة صناعة هذه المظلات، فوصلته مع المهندس المنفذ لهذه المظلات، وكان ما أراد. وصُنِعَت المظلات.

وبعد أسبوع جاءني هذا الأخ ليقول لي إنه رأى والده المتوفى في المنام مسرورا، فسأل الابن أباه عن حاله بعد موته فأجابه بأنهم جاؤوه منذ أيام بكسوة جديدة مريحة.

فقلت له إنها إشارة للقبول بإذن الله وانتفاع والدك المتوفى بصدقتك عنه.

وأذكر أن ابنتي الصغيرة أعطتني يوماً مبلغاً مما جمعته وطلبت إلي أن أضعه في صندوق تبرعات المسجد عند ذهابي إليه، ولما سألتها عن السبب فقالت أريد أن يكون نصفه إلى روح عمي ونصفه إلى روح خالتي، وعمها وخالتها توفاهما الله تعالى، وفعلت ما قالت لي.

وبعد يوم سألتني هل فعلت، فقلت نعم، قالت: لقد رأت خالتها تأتي من مكان بعيد فتضحك لها وتمضي، ثم جاء عمها وفعل مثل ذلك، فقلت لها تلك بشارة بوصول ثواب الصدقة إليهما بإذن الله. والله أعلم.

والأدلة والقصص في انتفاع الميت والحي بالصدقة كثيرة يعرفها القاصي والداني.

وبعد أيها الإخوة:

هذه طائفة أخيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة، وخلاصتها أن يشوب أحدنا كسبه بالصدقة وأن ينفق كل منا من سعته.

ورمضان وقت الإقبال على الله وبذل المعروف وعون الملهوف، فكيف إذا كان الناس في أزمة وضائقة!

إنَّنا اليوم أحوج ما نكون إلى أن يبذل الواجد، وأن يستعفَّ القادر، وأن يعين بعضنا بعضاً.

عن الحسن البصري قال: لقد عهدت المسلمين وإنَّ الرَّجل فيهم يصبح يقول:

يا أهلاه يا أهلاه، يتيمَكم يتيمَكم، يا أهلاه يا أهلاه، مسكينَكم مسكينَكم، يا أهلاه يا أهلاه، جارَكم جارَكم.

فاستوصوا بأنفسكم وأهليكم وجيرانِكم وسائر الناس خيراً. وحسبكم أن الذي يجازي على الصدقة رب العالمين ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: 88].

والحمد لله رب العالمين